ونفخ فيها وقال صارت كلها هباء منثورا وما انتفعت
الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث
ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا
ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث
في معنى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل
الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذرهم وقال بعض السلف
يكون في اخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم
باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه
العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور
الى الله تعالى ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصيم وفي
الخبر ما اعطوا قوم المنطق الا منعوا العمل انتهى

الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على الخلاف وتفصيل افات المناظرة والجدل وشروط اباحتهما

اعلم ان الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم تولاها
الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة وعلماء بالله تعالى وفقهاء في
احكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية وكانوا
لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغنى
عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الاخرة وتجردوا لها
وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق
من الدنيا واقبلوا على الله عز وجل بكنه اجتهادهم كما نقل
من سيرهم فلما افضت بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق
ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة
بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم
في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين
من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب
على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا
فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات
فراى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الولاة
والائمة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرابوا لطلب العلم

توصلا

توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم
الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم
وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح
والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح
الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا
اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم
الا من وفقه الله عز وجل في كل عصر من علماء الله وقد كان اكثر
الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية
لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر
بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد
العقائد فمالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت
رغبته الى المناظرة والمجادلة فاكب الناس
على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه
طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات
وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله عز وجل والنضال
عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم
بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين
اشفاقا على خلق الله تعالى ونصيحة لهم ثم ظهر
بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام
وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات
الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق
الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه
وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على
الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على
المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة
على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفين
واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع
وتقرير علل المذاهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا
فيها التصانيف وهم مستمرون عليه الى الان وليس ندري

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)